المملكة المغربية
الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول
المكلفة بالإسكان والتعمير
مديرية المدينة المعمارية
التراث وروح المكان
www.marocpluriel.com

فهـــرس

مقدمة 4

نبذة من السيرة الذاتية للأستاذ محمد العيساوي المسطاسي 8

رحلة بمكناس عبر الصورة والتعليق 10

دليل لمواقع الصور الفوتغرافية 88

تشكرات 91

إنه لمن الضروري القيام بمجهود إضافي لإعطاء مزيد من التوضيح عن قيم تظهر ملموسة، لكنها أبعد من ذلك، حيث تحمل معاني لا مادية. والتساؤل المطروح هو كيف يمكن ضبط وتحديد معنى إضافي يصعب لمسه أو التقاطه أوتبليغه، كما يتعذر اختزاله في كلمة واحدة أو نص واحد أو أي شكل من أشكال التعبير.

لقد كان الغرض من إعداد هذه السلسلة هو رفع التحدي، والعمل على إظهار التراث المشترك والروح التي يختزلها كل مجال، الأمر الذي دعا إلى إشراك مجموعة من الشخصيات من منابر علمية وأدبية واختصاصات مختلفة، شرفوا مديرية الهندسة المعمارية بمساهماتهم البناءة في إغناء هذا المجهود. وما تناغم وتناسق التعاليق التي ساهم بها هؤلاء الكتاب إلا برهان على مستوى تفاعلهم مع الفضاءات والصور التي جعلوها تنطق بتعاليقهم، حيث برهنوا عن إحساس مرهف تجاه هذه الصور والفضاءات مما أدى إلى طرح مزيد من التساؤل بدل تقديم حلول جاهزة.

وفي محاولة أولى من نوعها، اشتغل كل كاتب على حدة انطلاقا من المادة الفوتغرافية، دون أي قيد أو شرط مسبق، حيث عملت مديرية الهندسة المعمارية بكل أمانة على تبليغ مضمون ما جادت به قرائحهم، واحترام اللغة التي تم اختيارها لكتابة تعليقهم، والتسلسل الشكلي للنص، وترتيب الصور مع النزول عند رغبتهم في إضافة بعض الصور المعبرة عن مجالات أخرى تم إغفالها.

إن الحرية في التعبير والشكل، إضافة إلى الإفادات المختلفة التي قدمتها النصوص الغنية والمتنوعة في طرق سردها وخصوبة تصورها وشاعريتها، قد أضافت على كل تعليق نكهة خاصة حسب الكاتب والمدينة المعنية، باعتبار كونها إحدى المقاصد المرجوة من إحداث هذه السلسلة.

تـوطـئـة

تتشرف مديرية الهندسة المعمارية أن تقدم سلسلتها الجديدة "التراث وروح المجال" بهدف المساهمة في دعم الرصيد الحالي للأرشيف المتعلق بالتراث المعماري، و إبراز البعد الأساسي وتجليات المكامن الخفية التي تختزلها كل هندسة معمارية، إضافة الى أنها تأتي لتعزز السُّنة الحميدة التي دأبت المديرية على إنجازها منذ سنة 1999، وذلك حين أصدرت الأعداد الأولى من سلسة حوارات حول المدينة، وأخرى من سلسلة دفاتر الهندسة المعمارية والتمدن

ومن أجل تكوين أرشيف مستقبلي يهم التراث المعماري، تم الاعتماد في إعداد هذه السلسلة على صور فوتغرافية التقطها المصور المحترف السيد ميشال ناشف المعروف بإحساسه المرهف تجاه كل ما ينم عن الحضارة الإنسانية، لاسيما ما يتعلق منها بالمجال المبني بمختلف مكوناته وخاصة التراث المعماري.

وقد عهد إلى السيد ميشال ناشف القيام بتغطية فوتغرافية لما يناهز ثلاثين مدينة تاريخية وضواحيها، وهي ما يطلق عليها "المدن المؤسسة" التي كانت لها حدود جغرافية وسوسيولوجية ملموسة، وأحياء مهيكلة ومسالك مصنفة ورجال صالحون... وإلى يومنا هذا لازالت تلكم المدن تختزل القيم المشتركة والمستوى المعرفي والحضاري لأناس خلفوا آثارا ستظل شاهدة على فنيتهم العالية المستوحاة من روح المجال الذي احتضنهم.

وإذا كان التعليق المصاحب للصور المأخوذة بطرق تقليدية أو بالنمط الرقمي الحديث، يعطي فكرة عن الموقع الجغرافي لبناية أو فضاء سوسيولوجي ونبذة عن تاريخهما، فإنه يبقى غير كاف مهما بلغ المستوى الفني للصور والظروف الطبيعية الملائمة لالتقاطها، للتعبير التام عن العلاقة القائمة بين الإنسان والتراث وروح المجال

وقد يسهل فهم بعض المرافق العمومية المؤثرة في إطار عيش فضاء مبني لمدينة معينة كشبكة طرق أو تطهير أو إنارة، أو نمط نقل عمومي، غير أنه يصعب إدراك المجال المشترك والانخراط فيه أو الإقصاء منه، كما يصعب إدراك التضامن الجماعي أو الذاكرة الجماعية أو الإحساس بالانتماء لقيم خاصة أو لإطار عيش معين.

لقد أصبح من الواضح جدا أن ساكنة العالم سيتمركز معظمها في تجمعات حضرية، وذلك على المدى القصير أو المتوسط. وأن الساكنة المغربية ليست بمنأى عن ذلك، رغم أنها اليوم تتوزع بشكل متساو على الوسطين الحضري والقروي، مما يدعونا إلى البحث بجدية وفعالية عن سبل إرساء تمدن مواطن، لا ينحصر في معطيات كمية تتعلق بالإطار المبني- الذي هو في الآن نفسه إطار عيش الساكنة - بل يجعل البعد الإنساني في صدارة الأولويات. ويقتضي ذلك إرساء قواعد قانونية مؤسساتية والوقوف على النتائج التي ستعكس مدى انصهار وتفاعل الساكنة مع التمدن الحضري، أو ستعبر عن وجود شرخ اجتماعي يفعل التفكك والإقصاء.

ونأمل أن تجد المجهودات المتظافرة، التي تبذل في إنجاز كل عدد من هذه السلسلة، صدى إيجابيا لدى كل قارئ، وأن تعمل على التأثير في مخيلته أو تلهم شاعريته لاكتشاف حمولة التمدن التي تختزلها كل مجموعة من الصور كما نرجو أن تساهم في تعزيز الروابط الإجتماعية التي نسجت لإرساء تمدن معاصر وفق ما جاء في الخطاب السامي لجلالة الملك محمد السادس نصره الله يوم 20 غشت 2004 بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب في تعريفه للمواطن المغربي حين قال جلالته:

"فأن تكون مغربيا معناه الجمع بين التشبع بثوابت الهوية المغربية الموحدة، الغنية بتعدد روافدها، وتقاسم القيم والتطلعات المشتركة للأمة، وبين التفاعل الإيجابي مع مستجدات العصر والانخراط في مجتمع المعرفة والاتصال".

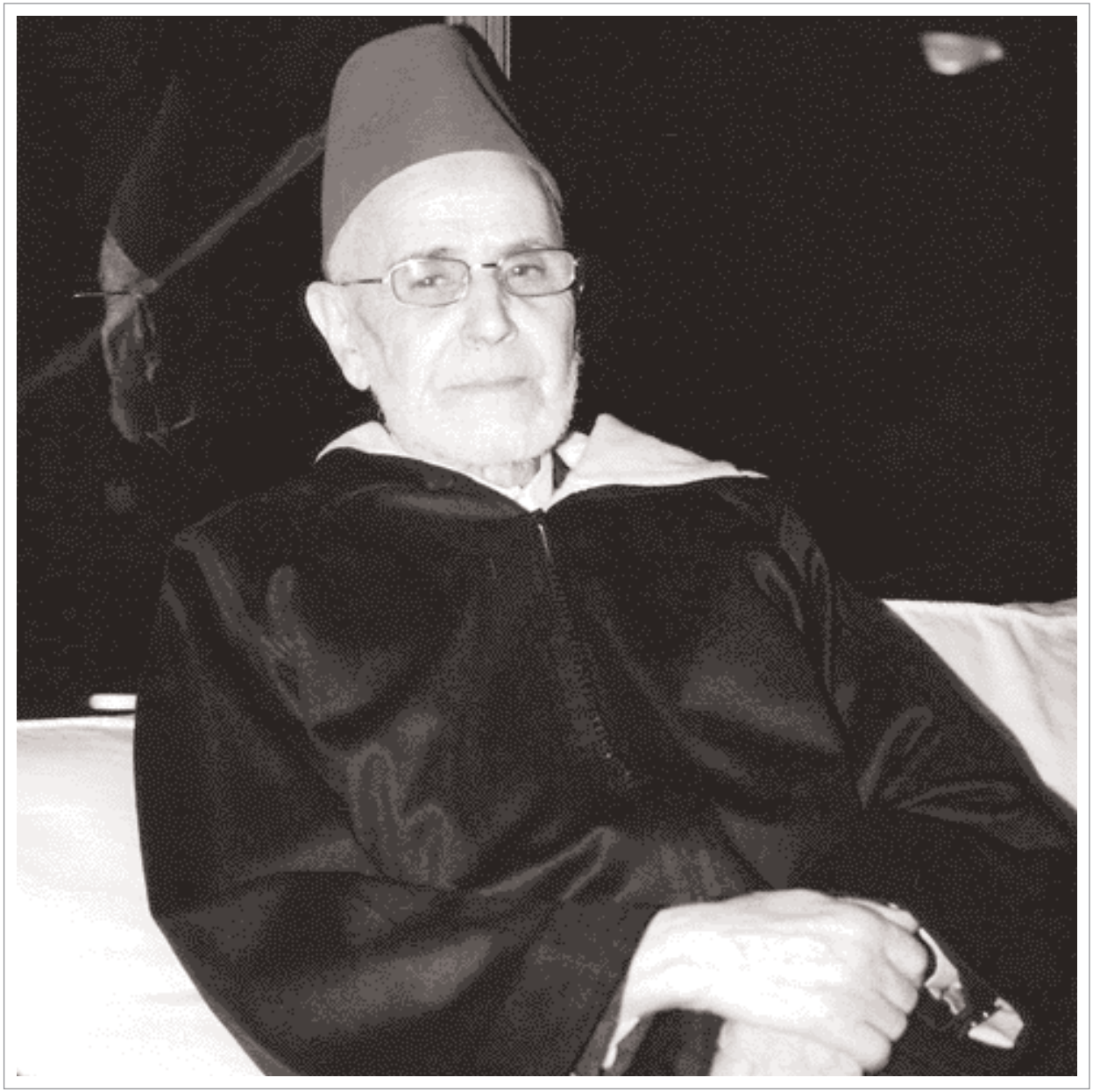

نبذة من السيرة الذاتية للأستاذ محمد العيساوي المسطاسي

إنه يتمنى لو عاد اليه الشباب بعد هذا المشيب، ليروي عطش القلم من حبر كلماته ومن صور ذاكرته، لينفخ الروح في أحداث مدينته التي عايشها لحظة بلحظة، حين كانت الوطنية فكرة مطاردة، فأصبحت وثيقة خالدة، وقعها مع رفاقه في الكفاح لتثمر بعد حين دولة مستقلة، عادت إليها ألوان الربيع بعد صيف المقاومة وخريف الحماية.

هو من بين أصغر الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال، في ذلك اليوم المشهود الحادي عشر من يناير 1944. هؤلاء النفر لم يتبادر إلى أذهانهم أنهم بتلك البصمة كانوا يرسون القواعد لبناء شاهق اسمه مغرب الاستقلال. إنه الحاج محمد العيساوي المسطاصي، المكناسي الأصل والمولد، أحد أبرز أعضاء حزب الاستقلال ومؤسس عدة خلايا حزبية نذكر منها خلية ثانوية "بوبيرو". مكنه عمله النضالي من التعرف والاحتكاك بمختلف الفئات الاجتماعية واكتساب شعبية واسعة.هذا الرجل الذي كان له دور حاسم في تكوين الرعيل الأول من أطر الحركة الوطنية عمل محتسبا لمدينة مكناس لمدة سبع سنوات، وشغل منصب مدير المؤسسة الإسماعيلية الكائنة بباب عيسى منذ تأسيسها إلى حدود نونبر 1952 عشية نفيه إلى قلعة مكونة حيث حوصر حتى يوليوز 1955.

ومع بزوغ فجر الاستقلال تقلد الحاج محمد العيساوي المسطاصي عدة مناصب بوزارتي الشؤون الخارجية والعدل حيث عمل ملحقا بالسفارة المغربية بالمملكة العربية السعودية ثم اشتغل بمحكمة الاستئناف قبل أن يلتحق بالمجلس العلى للقضاء إلى متم سنة 1990.

هذا الرجل لم تسعفه صحته الهشة أن يكتب ما يختلج في صدره من تاريخ هذه الحاضرة. ولكنه بارك العمل بعد الاطلاع عليه، وأبدى الرأي في كل كلمة وسطر، ووجه القلم الى مصادر التاريخ ومعينه الصافي ليعب القارئ من معين تراثنا المعماري ماءا زلالا امتزج برحيق ختامه مسك الاحداث التي عاشها هذا المقاوم في دروب وأزقة مكناس حتى أن المطالع لهذا الكتاب ليجد نفسه في سفر مشوق ينقله من حقبة الى اخرى في سلاسة لا تعادلها الا سلاسة مياه مكناس العذبة.

رجل فريد يشهد على مدينة فريدة كانت عاصمة للمملكة في احدى ألمع محطات التحدي والشموخ التي عرفها تاريخ المغرب التليد.

إذا افتخرت فاس بطيب معانيها
ولطف أهاليها ورفراف واديها

ومراكش الحمراء بطلع نخيلها
وحسن سجايا أهلها وأجانيها

وثغر رباط الفتح بالأدب الذي
غدا مفرق العليا يصول به تيها

فمكناسة الزيتون فاقت بتربة
وطيب هواء وابتها ج مبانيها

فما مثلها الزهراء في حسن منظر
ولم لا وسبط المصطفى هو بانيها

إمام همام ساعد السعد سعيه
فكانت شموس الفضل مشرقة فيها

"(...) مكناسة الزيتون بكسر الميم كما خرج به ياقوت الحموي في معجم البلدان والفيروزابادي في القاموس، وقد تقال بدون هاء عند عتم الإضافة، ولم تكن إضافتها للزيتون مقارنة لنشأتها وإنما حدث ذلك عند إنشاء الزيتون بها. وسميت بهذا الاسم "مكناسة الزيتون" نظرا لسكن طائفة من القبائل البربرية بها وذلك في سالف الدهور ونسبة هذه القبيلة هي لجدهم مكناس بن ورصطيف البربري، وقد نزل بعض سكان هذه القبيلة في شرق مدينة فاس فكان مقرهم احوان تازة ونزل البعض الآخر غرب مدينة فاس على مسافة ستين كيلو مترا وهم سكان هذه المدينة في العصور القديمة، فهم الذين أنشؤوها وقد كانت سكناهم أولا في بيوت الشعر ثم حملتهم الثروة على التخاصم وإجلاء الأقوى للأضعف فصاروا بذلك يتخذون الدور بموقع مكناسة، ويتابع بعضهم في ذلك البعض إلى أن كثرت دورها وصارت من أعظم المدن(...).

(...) فمكناس من البلدان العظيمة وهي من أعز بلاد المغرب، لها أنظار متسعة، وقرى عامرة، فهي إسم جامع لمدينتن صغيرتين على تنية بيضاء بينهما حصن اختط إحداهما يوسف بن تاشفين، والأخرى قديمة، ويعني بالقديمة تَاوْرا المشتملة زمن عمارتها على الحمامات والمسجد الجامع وغير ذلك، فالخراب إن وقع في مكناسة القديمة سنة خمس وأربعين وخمسمائة فإن تاورا وغيرها عمرت بعد ذلك إلى سنة ست عشرة وستمائة.(...)" (1)

(1) كتاب معجم البلدان للشيخ الإمام أبي عبد الله الياقوت بن عبد الله الحموي الرومي

"(...) وأصل مدائن مكناسة مدينتان إحداهما تسمى اكرارت وهي مدينة مرتفعة عن الأرض وشرقها نهر وبها بساتين وأهلها ذوو مال وثروة واليها ينسب عسل النحل المكناسي، والمدينة الأخرى تسمى بني زياد وهي مدينة عظيمة لم يكن في المغرب أنزه منها وبها نهر يجري في شوارعها وأسواقها ودورها وبها حمامات وهي مدينة مشهورة.(...)". (1)

(1) من كتاب نشق الأزهار لشمس الدين العنفي

"(...) وقد دخلها المرابطون في القرن الحادي عشر فحصنوها بأسوار، أما الموحدون فقد أنشؤوا بها مساجد وحمامات خلال القرن الثاني عشر، ولم يكن دخول المرابطين والموحدين دخولا سهلا بدون عناء فكان طبيعيا أن تقام مدينة في الشمال للفاتحين الجدد القادمين من الجنوب وفي أوائل القرن الثاني عشر تكاثر عدد سكان مدينة مكناس بفضل الأمن الذي عرفته المدينة على يد الموحدين وبنيت بها حمامات ومساجد وقد تكررت نفس الأحداث حين تولى المرينيون مقاليد الحكم حيث عرفت مكناس ازدهارا متزايدا وأطلق عليها حاضرة الفن الأندلسي المغربي، فأنجز أبو يوسف وأبو الحسن بها منجزات عدة كالفنادق والسقايات والمارستانات الا أن هذه المآثر ما فتئت أن اندثرت ولم يبق منها الآن إلا المدرسة البوعنانية (...).

(...) وفي عهد السعديين تضاءلت أهمية مدن الشمال إذ اتخذ سلاطين هذه الدولة مدينة مراكش عاصمتهم المفضلة، وفي هذه الفترة كثر الكلام عن جمهورية الرباط وسلا، التي كادت تكون مستقلة ولكن لم يعلم عن مكناس إلا القليل، ولم تتبوأ مدينة مكناس الصدارة من بين عواصم الدول المغربية الا في أواخر القرن السابع عشر إثر بيعة ثاني ملوك العلويين حيث ارتبط اسم السلطان العظيم مولاي إسماعيل بالعديد من البنايات التي أمر ببنائها والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بمؤسسي الدولة العلوية (...).

(...) وقد نقل المولى إسماعيل عاصمته من فاس إلى مكناس حوالي سنة 1678، وقد كان لهذا الاختيار أسباب اقتصادية، فقد كانت المدينة الإسماعيلية مؤهلة لتصبح، قاعدة لمملكة عظيمة، بل وأصبحت فعلا كذلك لوجودها في وسط منطقة من أغنى مناطق المغرب بعيدة عن البحر وبالتالي في مأمن من الغزو الأجنبي(...)". (1)

(1) شارل بينز محاضر سابق بمعهد الدراسات العليا المغربية.

وعرفت حاضرة مكناس خلال تطورها ازدهارا متميزا في عدة ميادين اقتصادية ومعمارية وذلك بإحداث أحياء مدنية وتشييد العديد من المنشآت ذات الطابع العمومي والثقافي ويتمثل ذلك في مسجد الجامع الكبير وجامع للا عودة وجامع الزرقاء والمدرسة الفيلالية والحمامات والسقايات والآبار والزوايا والأضرحة وقنوات تصريف المياه.

فمكناس كمثيلاتها من المدن المغربية العتيقة، امتازت بطابع معماري متميز يرتبط فيه الجمال ويتلاءم مع العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية فالتخطيط العام للمدينة إتسم بنسيج عمراني منتظم، إذ تجمعت فيه المباني بأشكال متلاصقة ومتشابكة عبر شبكة من الطرق المنعرجة والضيقة مما جعل العلاقة بين الأزقة والمباني السكنية علاقة ثانوية، وأدى هذا التخطيط إلى إنسجام إرتفاعات المباني و المقياس الإنساني وتوازن الفضاءات المبنية والمجالات غير المبنية مما حافظ على البعد الجمالي للمناظر الحضرية .

فالمدينة كانت عبارة عن كيان عضوي متماسك يرتكز على التآلف المتين و الإنسجام المحكم نتيجة لواقعيتها ومساهمتها وقد تفاعل ذكاء المصممين مع البيئة الطبيعية فالعمارة بمكناس العتيقة ليست حاجة أساسية للحياة فحسب بل تعتبر فنا من الفنون التشكيلية والتطبيقية، حيث تتحقق فيها ذاتية الجماعة وتظهر الحضارة الإنسانية التي تسود كل المراحل، وهكذا نجد ان تصاميم المساكن تمتاز بالغرف المفتوحة حول الفناء الذي يلعب دور المنظم الحراري للبيت، ويضفي عليه صبغة جمالية. هذا الفناء ذو الواجهات المزخرفة يتم غرسه ببعض النباتات المزهرة وغالبا ما تتوسطه نافورة ماء تساهم في تلطيف الجو في الشهور ذات الحرارة الشديدة.

أما التقسيمات الداخلية للمنازل فقد قسمت بشكل يحرص على احترام التركيبة الإجتماعية للأسرة ويؤمن مبدأ الخصوصية، أما الواجهات الرئيسية للمساكن فالفتحات بها شبه منعدمة أو على شكل تصاميم هندسية و مقاييس معينة وبروزات صممت لكسر حدة الإضاءة والتقليل من نفاذ أشعة الشمس

وارتكن البناء في مدينة مكناس العتيقة على تقنيات البناء التقليدي الذي يعتمد اساسا على استعمال المواد المحلية كالحجارة و الطين و الخشب المتوفرة بضواحي المدينة و مقالعها، فالحجارة المستعملة في بناء الحيطان مثلا علاوة على دورها التقني فهي كذلك تمنع التسرب الحراري، وتحافظ على اعتدال درجة الحرارة الداخلية، أما مادة الخشب ذات المزايا المختلفة والسهلة التشكيلة فاستعملت في تغطية الاسقف وصناعة الأبواب والنوافذ والزخارف المختلفة.

وهكذا فالمدينة القديمة تشكل بدورها وحوانيتها وساحاتها وقصورها ومساجدها وزواياها وأضرحتها ومدارسها وحماماتها ودروبها جزءا من مكناس المحافظة بالأسوار

"(...) ويعتبر العهد العلوي عهدا بالغ الأهمية بالنسبة لمدينة مكناس حيث أصبحت عاصمة للمملكة دون منازع وقد منحها المولى إسماعيل أهمية قصوى وذلك بإنجاز منشآت عصرية في مستوى تطلعاتها.

وعلاوة على ميزتها العسكرية فقد عرفت مكناس داخل أسوارها تشييد عدة قصور فاخرة، كقصر المحنشة الذي يضم القصور السلطانية ومنها الدار الكبيرة، ذات القصور العديدة والمصانع المنيعة والحصون الحصينة والأوضاع العجيبة المتناسقة الرائقة في أعين عشاق الآثار المتجولين من سواح أقطار المعمور (...).

(...) فمن القصور المرتبة في هذه الدار الجامعة أصناف المحاسن والفخار قصر الستينية الفسيح الفائق ذو المنظر الجميل الذي تجسم فيه الانشراح ورفرفت على طالعه الميمون أعلام الأفراح، وقد كان طوله ينيف على مائة متر وعرضه على خمسين وكان له أيام شبابه مباح فسيح محيط بجوانبه الأربعة، سقفه محمول على أعمدة الرخام الناصع البياض على رأس كل عمود كرسي من المرمر البديع المزخرف بالنقش العالي المبرهن على براعة الصانع واقتداره وقد اصطفت تحت ظل ذلك المباح الظليل أبواب وقبب متقابلة بسائر جوانبه الأربعة تتخللها دور، وقصور فيها ما تشتهيه الأنفس، وتنبهر بها الأعين تجسمت فيها الأبهة والبهاء وحير وضعها الهندسي أهل النهى، ورصع فسيح تلك الأرض بالزليج المختلف الألوان والصهاريج الصافية الرخام، والبست جدرانه حلل الجبص الموشاة بأبرع وشي وأغلاه وأعلاه. وتمنطقت بمنطقة من الزليج ذي الألوان المختلفة (...)". (1)

(1) ص 124 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (الجزء الأول) عبد الرحمان بن زيدان

"(...) أصفر فاقع، وأحمر فان، وأبيض ناصع، وأسود حالك، وأخضر يانع، وبشمال هذا القصر منار يَسُر الناظرين، متجل في حلة سندسية خضراء متوج بتاج من خالص الابرين، و وجه تسمية هذا القصر بالستينية لوجود قبب به لها أبهة و بهاء مسقفة بالعمل المعروف عند أهل حرفة النجارة بالستيني فأعطيت التسمية للقصر كله من باب تسمية الكل باسم الجزء الأعظم وما عدا ذلك وهو جل القبب الإسماعيلية في سائر قصوره مقبو بالجيار والآجور، مزخرف بالجبص البديع والنقش(...)". (1)

(1) ص125 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن القصور الإسماعيلية كذلك قصر النصر ذلك القصر المتسع الاكناف، المعروف اليوم بدار للابناني المحدث الباب بحومة الدريبة بمقربة من مسجد القصبة الملوكية، وهناك كذلك قصر مولاي زيدان وقصر الشعشاع والقصر المعروف الآن بباب الرايس ذو الأقواس العشرة، خمسة عن اليمين وخمسة عن الشمال وهي محمولة على أعمدة حجرية عظيمة (...).

(...) والقصر المعروف بعين القبب الموجود بباب ابن القاري والقصر المعروف بدار للا صفية المقابل بابه العالي لباب المنصور العلج، والقصر المعروف بدار البقر، وهو متصل بقصر المحنشة ومجاور لباب مراح، وقصر الكشاشين وهو عبارة عن فسيح مستطيل ذي أساطين مصطفة مبنية بالجيار واللبن والحجر، عليها أقواس مرتفعة فاقم لونها تسر الناظرين بعضها قبالة الداخل وبعضها عن اليمين والشمال وقد كان هذا القصر معدا للطبخ وشؤونه، وخزن لوازمه (...).

(...) ولا يستثنى قصر من هذه القصور عما فصلناه في قصر الستينية في الأبهة والزخرفة وإن اختلفت أوضاعها في الاستطالة والتربيع ولا يخلو واحد منها عن صروح شامخات يشرف منها على ضواحي مناظر مكناس الطبيعية المختلفة الشكل(...)". (1)

"(...) فالمولى اسماعيل لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا على عشرين بل جعل مباني الدول كلها في بطن قلعته بمكناسة (...).

(...) وتتركب هذه القصور من سلسلة من المنازل المتباينة يحتل بعضها نساء الإمبراطور وإماؤه وخدامه وحرسه، ويقوم بحراسة كل حي من أحياء القصر ضباط مكلفون بذلك، وكأن الأبنية لاصلة لبعضها بالبعض الآخر، ويقوم بحراسة دور النساء خصيان من الزنوج(...)". (2)

(1) ص126، (2) ص 127 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

وتميزت مدينة مكناس كذلك بطابعها الديني، ويتجلى ذلك واضحا في مساجدها الكثيرة، وصوامعها الشامخة وزواياها وأضرحتها المتعددة، وتشييد هذه المعالم لم يقتصر على عصر واحد بل امتد على عصور مختلفة المرابطي و الموحدي والمريني والعلوي.

"(...) وبالمدينة اليوم من المساجد مابين قائم وساقط ومتداع للسقوط نحو ثمانية وسبعين والمعد للخطبة منها اليوم إثنا عشر مسجدا ودونك عدها(...)". (1)

1- "(...) المسجد الأعظم المعروف بالجامع الكبير ويقال إنه كانت في المدينة بدلوة ثم تمدنت واكتسبت حضارة وزيدت بعد الستمائة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين لهيبة الماء عجيبة القدر بموقع يقال له تاجها، وأجرى الماء إلى الباب الجوفي من أبواب الجامع وسمي باب الحفاة وكان متصلا بالباب الذي يسمى لهذا العهد باب الزراعيين وبنيت قريبا من هذا الجامع دار للوضوء حفيلة على مثال دار الوضوء بفاس وهذا كله في أيام الموحدين(...)". (2)

"(...) وفي هذا المسجد العظيم القدر ثريات ثلاث من الصفر مكتوب بالدائرة الأولى من كبراها : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا الخ السورة» وفي دائرتها الثانية بعد الاستعاذة والبسملة والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم «يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا الخ السورة» وفي دائرتها السفلى "صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله لجامع مكناسة شرفه الله بذكره، وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة عام أربعة وستمائة هجرية، وفيه مائة وثلاثة وأربعون قوسا ومن الأساطين مائة وأربع وثلاثون اسطوانة(...)". (3)

(1) ص110، (2) ص 206، (3) ص 102 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وفي المسجد من الصفوف المصطفة المتباعدة الأكناف البالغة في محاسن الأوصاف تسعة، الصف الاول منها عديم النظير في إتساع العرض، إذ عرضه ستة أمتار وأربعة وثمانون سنتيما وطول مسجدنا المكناسي من جدار المحراب الى العنزة تسعة وثلاثون مترا وعشرون سنتيما، وعرضه من الجدار الشرقي إلى الجدار الغربي أربعون مترا وخمسة وتسعون سنتيما وطول صحنه واحد وعشرون مترا وأربعة عشر سنتيما وعرضه سبعة عشر مترا وواحد وأربعون سنتيما(...)". (1)

"(...) ولهذا المسجد أحد عشر بابا منها باب الحفاة وباب الكنيف وباب الحجر وقد سمي بذلك لأحجار ثلاثة مبسوطات، كانت مفروسة بين بابي المسجد والمدرسة المعروفة الآن بالفيلالية، وفيما سلف بمدرسة القاضي، ومدرسة الشهود وباب الخضر وهو لايفتح إلا يوم الجمعة (...)"، (2)

2- "(...) المسجد العتيق وهو المعروف بجامع النجارين(...)"، (3)

3- "(...) جامع الزيتونة وقد أسس عام تسعة وتسعين و ألف وشاهده ما هو منقوش عليه الآن ولفظه «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما، صنع هذا المنبر المبارك عام تسع وتسعين وألف»(...)"، (4)

4- "(...) ومسجد باب البرادعيين(...)"، (5)

5- "(...) مسجد سيدي عبد القادر العلمي وهو من تأسيسات الأمير السلطان مولانا عبد الرحمان بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل وقد نقل الخطبة من مسجد سيدي احمد بن خضراء إلى مسجده(...)"، (6)

6- "(...) مسجد سيدي اسعيد وقد شيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله(...)"، (7)

(1) ص102، (2) ص 99، (3) ص110، (4) ص 148/149، (5) ص170، (6) ص216، (7) ص144

7- "(...) مسجد القصبة الملوكية وهو المسجد الأنيق الحافل ذو الصفوف التسعة والأساطين الرخامية، والقبة ذات الخصة العظيمة، ويبلغ طول هذا المسجد سبعة وثمانين مترا وعرضه تسعة أمتار وعشرون سنتيما ويعرف هذا المسجد في العقود الحبوسية بمسجد الرخام والظاهر انه إنما كان معدا للصلوات الخمس(...)"، (1)

8- "(...) مسجد قصبة هدراش ويعرف هذا المسجد اليوم بجامع اللا خضر وقد تقدم لنا أنه من المساجد التي تقام بها الجمعة وينتظم هذا المسجد من بلاطين وجناحين وأسس به كنفا وحماما (...)"، (2)

9- "(...) مسجد الأزهر المعروف اليوم بجامع الأربعين وقد أسسه سيدي محمد بن عبد الله حفيد المولى إسماعيل عام تسعة وثمانين ومائة وألف(...) وينتظم هذا المسجد من صفوف أربعة ذات أقواس محمولة على أربع وأربعين سارية مبنية بالجيار واللبن وصحن فسيح لايوجد له نظير في القطر المغربي في ما أعلم، طول هذا المسجد هو ثمان وثمانون مترا ونيف وعرضه ستون مترا بوسط صحنه الرحب افية من أصفر المرمر، أما الجوانب الأربعة المتصلة بالصحن فمفروشة بزليج الرخام البديع وباقي الصحن مفروش بالزليج الملون الفاتن الباهي ولهذا المسجد ثلاثة أبواب لعموم المصلين إحداها في الجهة الغربية وثانيها في الجانب الشمالي وثالثها في الجانب الجنوبي ويوجد صغير بالجانب الشمالي من الصف الأول يختص السلطان بالدخول منه ومع الاسف فقد اهمل هذا المسجد إهمالا ليس عليه من المزيد حتى عشش فيه الخراب والتلاشي والدمار(...)"، (3)

(1) ص128، (2) ص 194، (3) ص192/191، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

10- "(...)مسجد قصبة بريمة وهو من المعاهد الدينية التي قام بتشييدها السلطان سيدي محمد بن عبد الله(...)"، (1)

11- "(...) مسجد السيد الحاج القدوة الولي الشهير(...)"، (2)

12- "(...) مسجد قصبة تولال(...)". (3)

"(...) وهناك مساجد اخرى مثل المسجد الذي أسسه الأمير سيدي محمد بن عبد الله داخل قصره البهيج الموسوم باسم الدارالبيضا، محل المدرسة الحربية الآن المعدة لتعليم الضباط المغاربة، (...) وقد كان هذا المسجد منتظما من صفوف أربعة وصحن وجعل له منارا ومستودعا لوضع آلات التوقيت وأسس بجانبه الشرقي مدرسة لطيفة وأحاط السور بالفسيح الطويل العريض المعروف باسم اكدال وأسس بصدر هذا الفسيح قبة مرونقة بديعة على جانب من الإتقان والتزويق(...)". (4)

"(...) وأسس السلطان سيدي محمد بن عبد الله كذلك بالقصبة مسجد باب مراح ومناره، وباب مراح هذا هو الذي أعد لسكنى مماليك الجناب السلطاني وموقعه ما بين قصر المحنشة السعيدة وصهريج السواني وجوار جنان ابن حليمة الشهير(...)". (5)

(1)، (2)، (3) و(4) ص192، (5) ص196، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) اما الصوامع التي ينادى بها للصلاة فثمانية وعشرون :

1- صومعة المسجد العتيق وهو جامع النجارين
2- صومعة جامع المسجد الأعظم
3- صومعة جامع الزيتونة
4- صومعة جامع باب البراذعيين
5- صومعة سيدي أحمد بن خضراء
6- صومعة سيدي قدور العلمي
7- صومعة جامع الصباغيين
8- صومعة جامع التوتة
9- صومعة جامع براكة
10- صومعة جامع بن عزو
11- صومعة جامع الزرقاء
12- صومعة جامع الساباط
13- صومعة سيدي اليابوري
14- منار جامع جدلوة بالجبابرة
15- صومعة الضريح الإسماعيلي
16- صومعة باب مراح
17- صومعة جامع الارويس
18- صومعة سيدي اسعيد
19- صومعة جامع الدار البيضاء بأكدال
20- صومعة سيدي الحاج القدوة
21- صومعة بريمة
22- صومعة جامع سعدون
23- صومعة سيدي الورزيغي
24- منار جامع تولال
25- صومعة جامع القصبة المعروف بلالا عودة
26- و27- صومعتان إثنتان بدار المخزن السعيدة
28- صومعة جامع قصبة هدراش المعروف بلالا خضراء (...)" (1)

(1) ص 110، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

وإضافة إلى المساجد والصوامع ، فمكناس تزخر كذلك بعدة أضرحة نذكر منها :

"(...) ضريح الولي الصالح أبي الحسن سيدي يوسف الشهير بأبي القناديل (...) ويوجد هذا الضريح وراء دفة الباب لدار الخلافة على يسار الداخل (...) وضريح الولي الصالح المولى أحمد الشبلي رضي الله عنه (...) وضريح سيدي عبد الله القصري الولي الشهير (...)". (1)

"(...) ومن تأسيسات السلطان الأصيل العريق المجد والفخار مولانا احمد الملقب بالذهبي بمكناسة ضريح والده الإمام الجليل أمير المؤمنين مولانا اسماعيل، ذلك الضريح المحكم الصنع، العجيب الوضع، المنتظم من قبة لا نظير لها في الأقطار المغربية بل ولا الشرقية (...) ويخدي باب هذه القبة الزكية البهية لوحتان رخاميتان بديعتان منقوشتان أبدع نقش وإعلاه، طول كل واحدة متر وسبع وستون سنتيما وعرضها خمسة وتسعون سنتيما منقوش في أعلى اللوحة التي على يمين الداخل من الفضة :

باب ضريح إمام الغرب خذ فيه بدر الهناء ونجم الدين قد غابا

وبأعلى التي على اليسار ما لفظه :

فاقسم له يا عظيم المن منزله في الخلد وافتح الى الغفران ابوابا(...)". (2)

"(...) وهناك كذلك ضريح العارف الكامل السيد عبد الرحمان المعروف بالمجذوب (...) ويوجد أمام الضريح المجذوبي بئر حفرته إمرأة نمال من صداقها قرابة عام مئة وخمسين ألف (...) وبجانبه الشرقي يوجد مدفن الفرس الذي كان يركبه الشيخ المجذوب وحملت عليه جثته لمحل إقباره (...)". (3)

"(...) ومن تشييدات الأمير سيدي محمد بن عبد الله ضريح الشيخ محمد بن عيسى الشهير بالشيخ الكامل المتبرك به حيا وميتا، دفن خارج الباب المعروف بإسم باب السيبة أحد أبواب العاصمة المكناسية (...).

(1) ص148، (2) ص184، (3) ص189، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

(...) وبالإضافة إلى القصور والمساجد والأضرحة هناك كذلك المدارس، فقد بنى السلطان أبو يوسف بمكناس، مدرسة الشهود التي بأعلى سماطهم (...) ويقال لها مدرسة القاضي لأن القاضي أبا الحسن بن عطية الونشريسي كان يدرس بها، ونوه بها أبو الحسن المريني المسمى بأبي الحسنات وبنى فيها مرافق كثيرة. (...)" (1)

"(...) وأما المدرسة الجديدة فهي المعروفة اليوم بالبوعنانية نسبة لأبي عنان أنشأها والده أبو الحسن، (...)" (2)

"(...) ويقال إنه لما أخبر بتمام بنائها جاء إليها ليراها فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها وجيء إليه بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرقها في الصهريج قبل أن يطلع عليها وأنشد :

لابأس بالغالي إذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن(...)" (3)

"(...) وهناك كذلك مدرسة الخضارين المعروفة بمدرسة مولاي عبد الله ابن احمد وهي المقابلة لسماط العدول (...)." (4)

"(...) وكذلك المدرسة الموجودة بخارج الباب الشمالي من مسجد الأزهر المعروف باسم جامع الأربعين، وتحتوي على بيوت وبئر وبآخرها قبة بديعة الشكل كانت على جانب من الزخرفة والنقش، وبهذه المدرسة منار المسجد كما يوجد خارج الباب الجنوبي مرحاض حافل محتو على خمس وعشرين ميضئة، بوسط صحنه صهريج للماء مستطيل كان في غاية اللطف، وخارج هذا المرحاض في جداره الشرقي صهريج مستطيل حوله نحو المترين منحوت في حجرة واحدة (...)". (5)

"(...) وهناك كذلك مدرسة الصهريج ومدرسة باب مراح ومدرسة الدار البيضاء ومدرسة قصبة هدراش ومدرسة جامع الشاوية ومدرسة مولاي اسماعيل(...)". (6)

(1) ص117، (2)،(4)و(5) ص122، (6) ص199 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،

"(...) وقد قيل على أنه كان بهذه المدينة في أيام الموحدين ثلاث حمامات البالي والجديد والصغير وهي باقية لهذا العهد، وقد أحدث فيها أبو زكرياء يحى بن عنصاليه المهاجر المعروف بإبن اخت الفنش في العشرة الثانية من القرن السابع حماما كبيرا حفيلا محكما فجاء في غاية الاتقان(...)". (1)

"(...) أما الحمام البالي فإنه لازال قائم العيش الى الحين، إلا أنه لا يعرف اليوم بهذا الوصف وهو معروف بحمام مولاي عبد الله بن أحمد (...) أما الحمام الجديد فانه لازال قائم العيش الى الآن محتفظا بنفس الإسم، وأما الحمام الصغير فهو في غالب الظن حمام التوتة إذ هو أصغر حمام يوجد في البلد مع ظهور قدمه، (...) وقد أحدث الشيخ أحمد اللصياني في الورتاتين أيام قيامه بمكناسة حماما (...) ويقال له حمام المريني وهو رابع حماماتها(...)". (2)

"(...) وأما حمام أبي زكرياء الفنشي فقد قال بعض من تأخر زمانه على أنه إتخذ معصرة للزيتون وبقى كذلك سنين متطاولة، والآن جعل محلا لعمل البارود بسويقة باب البراذعيين، (...) ومازال الحمام على قبتين محكمتي البناء على أعمدة من الحجر المنحوت، وهذه الأوصاف تنطبق تمام الانطباق على المعصرة القائمة العيش الآن المجاورة للفرن الكائن بالسويقة المذكورة المعروفة اليوم بسويقة جبالة ولا زالت إحدى القبتين شامخة الى الآن بالمعصرة، وأما حمام المريني فهو الحمام المعروف اليوم بحمام السويقة.(...)". (3)

(1) ص110، (2)و(3) ص111 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) هذا وعدد حمامات المدينة اليوم أحد عشر
وإليك أسماءها :

1- حمام سيدي ملوك

2- حمام التوتة

3- حمام تربعين

4- حمام السويقة

5- حمام مولاي عبد الله ابن احمد

6- حمام باب برد عاين

7- حمام مولاي إسماعيل

8- حمام للاخضراء

9- حمام جامع الزيتون

10- الحمام الجديد

11- حمام الحرة ويعرف بحمام سيدي عمرو بوعولادة(...)". (1)

(1) ص 111 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن بين معالم العاصمة المكناسية كذلك السرداب الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين ذو الاساطين المحكمة البناء والأقواس الضخمة الشاهقة تمر فوقه الركبان وتجر الدواب عليه الصخور العظيمة وتسير السيارات البخارية المشحونة بالأثقال (...) وقد جعلت فوقه جنات ذات اشجار ويقول وصارت تسقى بالماء كل آونة فلم يؤثر عليه شيء مما ذكر، ويعرف هذا البناء اليوم بحبس قارة ويقال إنه كان من جملة السجون المعدة للأسارى وغيرهم من أصحاب الجرائم العظيمة يبيتون به ليلا ويخرجون نهارا للخدمة(...)". (1)

"(...) وهناك كذلك الصرح الشاهق المبنى فوق ساباط الباب المعروف الآن بباب الرايس ذو الأقواس العشرة، خمسة عن يمين المار فيه ومثلها عن شماله، المحمولة على الأعمدة الحجرية العظيمة التي لا زالت موجودة قائمة لهذا العهد أربعة عن اليمين ومثلها عن الشمال(...).

(...) والصرح الهائل الذي كان فوق القصر المعروف اليوم بارويى الجزارة الواقع بعقبة الضريح الإسماعيلي أمام مكتب الإستعلامات الآن والهري العظيم الموجود إلى الوقت الحاضر داخل عرصة البحراوي الشهيرة، كان هذا الهري في زمن السلطان المولى الحسن معدا لخزن الحطب، الصرحان معا أصبحا في خبر كان(...)". (2)

(1) ص135، (2) ص 137، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وهناك الهريان العظيمان الموجودان بإزاء صهريج السواني أحدهما يحتوي على ثلاثمائة وخمس وأربعين اسطوانة طوله مائة ونيف وثمانون مترا وعرضه لا يقل عن تسع وستين مترا (...) كان هذا الهري على جانب من الضخامة، (...) فسطحه كان بمثابة برج عظيم يوضع عليه من الآلات الحربية كل مدهش (...)

(...) وقد لعبت أيدي البلى بجديده وخرقت سقوفه التي كانت تضاهي شوامخ الجبال (...) أما الهري الآخر فكان بإزاء سابقه متصل به، لا زال صين السقف حتى اليوم رغم ما نبت عليه من الأشجار حتى صار كأنه غابة (...) ويوجد بهذا الهري عدة آبار في غاية العمق ذات مياه عذبة (...) وجعل لكل بئر دولاب عظيم ينقل منه الماء ويصب في الجاري المعدة له إلى أن يصب بالصهريج، صهريج السواني (...)". (1)

" (...) ومن مفاخر العاصمة الإسماعيلية كذلك المعصرة الفاخرة البناء الواقعة في الجانب الشرقي من اروى مزيل التي صارت اليوم معملا للصناعة الحديدية، يقال أن زيتون حمرية كان يطحن بهذه المعصرة (...)". (2)

" (...) وقبب الخشب البديعة الشكل التي أسست في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله ابن إسماعيل، المعروفة بإسم الخيمة وهي الواقعة بجنان ابن حليمة في الجهة الشرقية منه، المحمولة على ساقية وادي بوفكران (...) وهذه القبة تحتوي على باحات ثلاث محمولة على الأعمدة الخشبية وثلاث بيوت يتوسطها بهو (...)". (3)

(1) ص137/138، (2) ص 144، (3) ص204، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن تأميساته ايضا المباح الواقع على يسار الخارج من باب منصور العلج لبطحاء الهديم، وهو محمول على اساطين ستة حجرية (...) وقد كان هذا المباح معدا لجلوس أعيان الجيوش المظفرة وذوي الحيثيات منها في أوقات الأحكام المخزنية حيث أن باب منصور العلج كان هو الحكمة الرسمية لباشا مكناس، يجلس به لفصل الخصوم وسماع المظالم كل يوم، صباحا ومساء (...) وكذلك المباحان الموجودان خارج باب قصر المحنشة السعيدة المحمولان على إثنين وثلاثين عمودا من الأعمدة الحجرية وأعدها لجلوس الموظفين ورؤساء رجال البساط الملوكي وذوي الحيثيات وقت جلوس السلطان للنظر في أمور الرعية (...)". (1)

"(...) ومن تأميسات السلطان سيدي محمد كذلك القبة الواقعة في الجهة الشمالية من جنان ابن حليمة.(...) ومنها قبة الزجاج الواقعة على الصقالة المشرفة على العرصة المعروفة بالبحراوية تلك القبة هي التي بين قصري سكنى الجناب السلطاني من قصور المدرسة المولوية وبين الباب المعروف الى الآن بباب الشبكة (...)". (2)

"(...) اما السلطان مولانا الحسن فقد أسس بالقصور الملوكية قبة الباهية الواقعة بقصر المدرسة، وقبة الزجاج المشرفة على غراسات جنان البحراوية، ومنها الصرح البديع الذي أنشأه بقصر المحنشة وأخذت له بابا بالنهج المستطيل المعروف بأسراك وذلك عام خمسة وثلاثمائة وألف (...)". (3)

(1) ص207، (2) ص 210، (3) ص 212، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وجدد قصر المحنشة وأنشأ به قبة عظيمة وجعل لها بابين بابا للمحنشة وبابا للعرصة المعروفة بعرصة الرخام، إحدى البساتين التي تتخلل تلك القصور السلطانية، (...) وأنشأ بهذا البستان أيضا حماما حافلا وجعل به بابين بابا لقصر المحنشة المذكور وبابا بالبستان المتحدث عنه(...)". (1)

"(...) ومنها الصقالة الشاهقة العظيمة المتصلة بساباط قصر سكنى جنابه السامي بالمدرسة السعيدة الطالع وكان قصده من تأسيس هذه الصقالة إنشاء صرح عليها تتراءى منه بواسطة المرآت المكبرة والمقربة الديار الفاسية وشرع في بناء ذلك الصرح بالفعل إلا انه لم يتم، وحال حلول المنية دون الوصول الى الغاية المقصودة وكان ابتداء تأسيسه له عام ستة وتسعين ومائتين وألف على ما هو منقوش في رخامة بخد الباب الذي يصعد منه للصرح المذكور كما انه منقوش على الخد الموالي ليمين الصاعد به ما لفظه :

باب السعود ومظهر الإقبال منه الصعود لغاية الآمال
ظهرت نتيجته وصين أساسه فبدا مشيدا في المقام العالي

وعلى الأيسر ما لفظه :

فتنافس الصناع والحكماء في إتقانه بمواهب المتعالي
تاريخ منشاءه علا من مجددا الحسن الأمير سلالة الكمال
(...)". (2)

(1) ص212، (2) ص212/213، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن تأسيساته كذلك منار جامع المحنشة الا انه اختارته المنية دون إتمام الأعمال وفق مارام (...).

(...)ومنها القبب الخمس المتصلة بالمنار المذكور من الجهة الجنوبية وكان أعد تلك القبب لجلوس وزرائه وذوي الحيثيات والكبراء والوجهاء من الموظفين في خدمة جنابه السامي(...).

(...) ومنها الصهريج المحدث أمام مسجد المحنشة المذكور المحتوي على الخوابي الرخامية الخمس في رأس كل ركن من أركانه الأربع واحدة والخامسة بوسطه وهي أكبرها (...).

(...) ومنها قبتا الزجاج الواقعة إحداهما شمال المسجد المشار والأخرى جنوبه (...).

(...) ومنها التربيعة المعروفة بإسم الوسعة الواقعة بين بابي الدار العالية بالمحنشة المذكورة، الباب الذي به استقرار عبيد الدار المذكورين وباب سي مسعود، أضيف هذا الباب لبويب كان به فقيه إسمه سي مسعود، وانشأ بالساحة المشار لها قبة ذات بال يجلس بها لسماع المظالم وإعطاء الأوامر وجعل لها مباحا يضارعها في التنسيق والزخرفة وجعل أمامها صهريجا لطيفا بوسطه خابية من الرخام الرائق تتدفق زلالا (...).

(...) وجعل عن يمين هذه القبة، قبة خونها في الرونق والأبهة وعن شمالها كذلك وأمام هذه القبة على يسار الداخل من باب السي مسعود المتقدم الذكر عدة قبب معدة للشؤون المخزنية (...)". (1)

(1) ص214، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وجعل كذلك الدويرية التي بداخل باب سكنى عبيد الدار المتقدمة الذكر الكائنة على يمين داخله وقد كان أعدها مكتبا لتعليم البنات القرآن العظيم (...)،

(...) و منها الأروى السعيد الذي أعد لربط الخيل والبغال بقصر المحنشة وقد تهدم السور المحيط بهذا الأروى في هذه الأيام من الجهة الموالية لباب مراح المار الذكر، فسد بابه الإعتيادي الواقع بداخل المحنشة على يسار الداخل من باب هذا القصر الشهير بالباب الفوقاني وهو الباب المقابل لباب الناعورة السالف الذكر وصار الدخول اليوم لهذا الأروى من الجهة المتهدمة السور بباب مراح المشار له (...).

(...) ومنها الطريق السري المعروف بـ (طالع وهابط) الموصل من قصر المحنشة المنيف لجنان إبن حليمة بحيث يتيسر خروج الحرم الكريم من القصور السلطانية الى جنان إبن حليمة التي سبقت الإشارة إليه من غير أن يمر بالنهج العمومي(...) ومنها القبب التي بالنهج المستطيل المسمى بأسراك الكائنة هي أي القبب على يمين الذاهب لقصر المدرسة الخارج من باب الرايس الشهير وأعدها لجلوس وزارته وأعيان كتابه وقت جلوسه للأحكام وسماع المظالم وجعل لتلك القبب مباحات أعدت لجلوس بقية الكتاب مع أعيان رؤساء ذوي الحيثيات والموظفين(...).

(...) ومنها الروض الجديد الذي أنشأ بالبحراوية بصهريجيه و منها قبة الزجاج التي على الصقالة بأعلى الروض المشار المشرفة عليه بل وعلى عرصتي البحراوية والترنجية والصرح الذي بأعلى المحنشة المقابل لباب الناعورة إلا أنه لم يكمل(...)". (1)

(1) ص215/214، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن تاسيسات السلطان المولى عبد العزيز بمكناس تجديد بعض القنوات التي يجري فيها الماء للمساجد والمدارس للمدينة(...).

(...) ومن آثار المولى زين العابدين تزليج أرض ضريح سيدي اسعيد(...).

(...) ومن آثار سلطاننا العالي المعظم الملحوظ بعين الإجلال والإكبار مولانا يوسف أعز الله أمره وأيده وأدام فخره، تجديد جبص المسجد الأعظم بمكناسة وتبليط أرضه بالجبص والزليج (...) ومنها إصلاح جامع القصبة وتخصيص صحنه الخارجي المولي لبابه، ومنها إصلاح مدرسة الشاوية المعروفة اليوم بجامع الستينية وتسقيف صف واحد منها (...)". (1)

"(...) ومنها إعادة تبييض جبص قبة ضريح المولى إسماعيل(...) وإعادة ما أزيل وتلاشى من زليج بعض جداراتها (...) ومنها تجديد مسجد سيدي يحيى وساقيته (...) وتجديد جامع الكرمة المعروف بزنقة حومة الأنوار قرب سيدي سلامة الولي الشهير(...)

(...) ومنها إصلاح المسجد العتيق المعروف بجامع النجارين ومسجد الزيتون ومسجد البرادعيين وزاوية مولاي عبد الله بن احمد المعدة للمعتوهين والضعفاء والمنقطعين ومسجد باب عيسى وضريح سيدي علي بن منون وضريح الست كلينة (...) ومنها إصلاح حمام باب البرادعيين وتجديد ما افتقر منه للتجديد وكذلك حمام الزيتونة وحمام مولاي عبد الله بن احمد وحمام النجارين وحمام السويقة وحمام الجديد وحمام سيدي عمرو بوعولدة وحمام التوتة (...).

(...) ومنها تجديد السقاية الموجودة ببطحاء الهديم قبالة باب منصور العلج تلك السقاية العجيبة الشكل العديمة المثال التي لم ينسج على منوالها في حاضر الأزمان ولا في غابرها ناسج بها ما شأت من تزويق وتنميق ونقش رقيق، يستلفت الأنظار ويستوقف الأبصار(...) وهذه السقاية هي التي يعبر عنها في العقود الحبسية القديمة بالسقاية الكبرى(...)". (2)

(1) ص218، (2) ص221، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) ومن التأسيسات والآثار الخالدة التالدة القيسارية الجديدة المعدة لبيع أنواع البز الواقعة خارج باب برية المجاورة لسوق البز القديم المستندة على سوق السلالين وقد كان موقعها قبل فندقا معدا لبيع الفحم وربط الدواب (...)". (1)

"(...) ومنها تشييد دار السمن وروبى مزيل المتصلة بباب ابي العمائر(...) ومنها تأسيس الباب المتصل بجدار البوسطة الجديدة المحدث بدار السمن تمر عليه العربات والسيارات الداخلة لدار السمن (...)". (2)

"(...) ومنها تجديد مسجد تيبر يارين(...) وسقاية أبي الحسن علي ابن منون وتجديد سقايات جامع الزيتونة، وتجديد سقايات حومة حمام الجديد وسقاية الصباغين وسقاية النجارين وسقاية درب القرع وسقاية التوتة وسقاية ضريح أبي محمد عبد القادر العلمي وسقاية سبع أنابيب مع تجديد سقفها وترصيف أرض مباحها وسقاية حمادشة بتربي الصغرى وسقاية تربي الكبرى وسقاية براكة وسقاية حومة جامع الساباط وسقاية الغمادين داخل الباب الجديد (...)". (3)

(1) ص221، (2) ص222، (3) ص 224، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وإحداث سقاية وكنف بالوسعة داخل باب السيبة وتجديد سقاية العوادين وسقف سقاية الشريشرة وسقاية تيبربارين وإحداث سوق لبيع الخضر يدعى البلاصة بالعريصة المعروفة قديما بإسم حبس قارة (...) وإحداث البوسطة بمحل الزاوية العينية التي كان احدثها القائد إدريس بن يعيش(...) ومنها تجديد حائط محراب مسجد الولي الصالح عمرو بوعوادة (...) وإنشاء المستشفى للأهالي الكائن أمام ضريح سيدي اسعيد ومنها إنشاء الجرنة الحافلة لذبح الأنعام الكائنة خارج باب السيبة أحد أبواب المدينة. ومنها تزليج اسراك من باب المعراض إلى مباح باب الحوفات وترميمه لجدران أسراك المذكور، و منها تزليج السقاية السليمانية الكائنة داخل باب الحوفات (...)". (1)

(1) ص 224، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

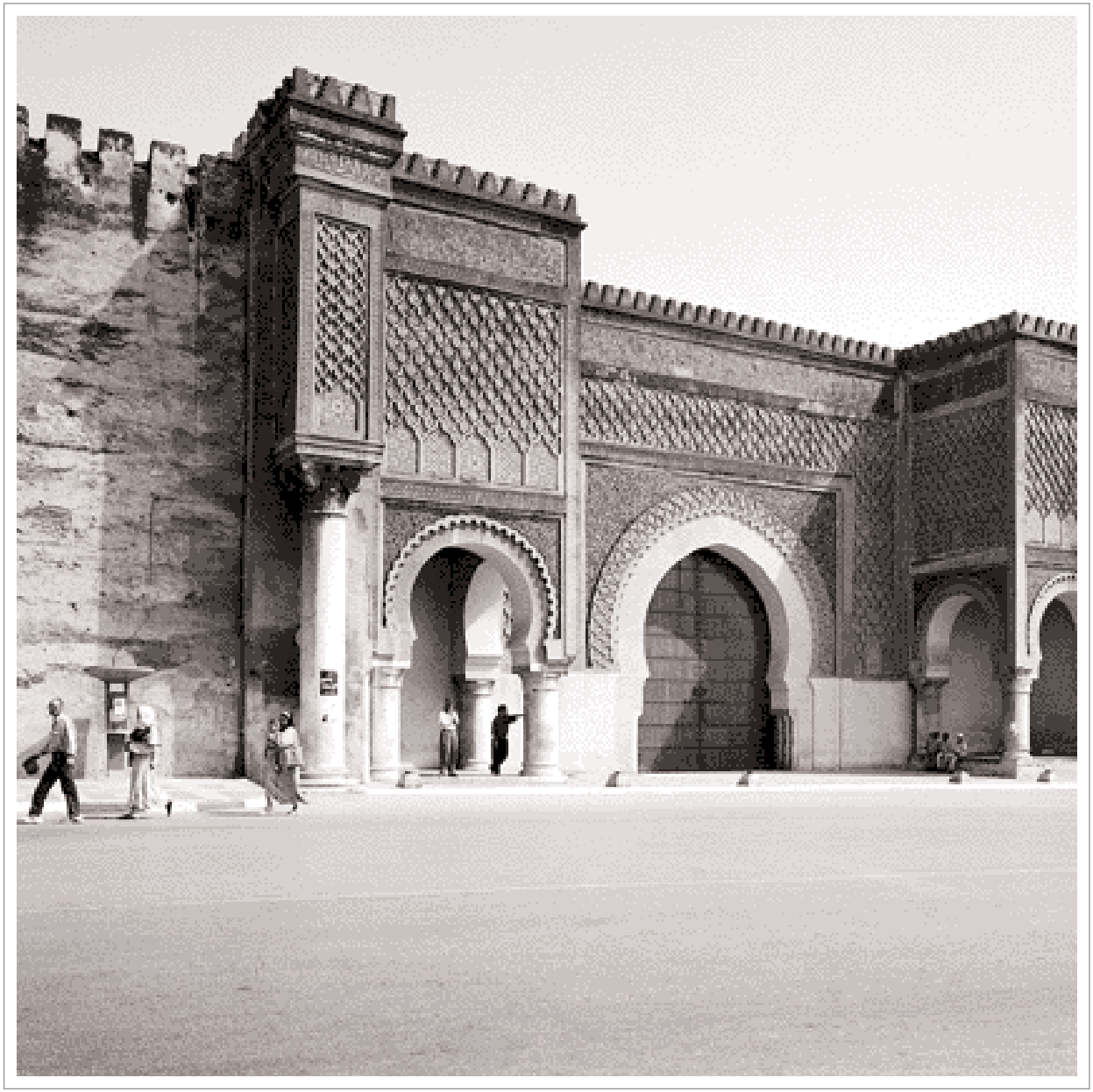

"(...) وأحيطت مكناس بأسوار عظيمة بلغ طولها أربعين كيلومترا فتحت بها أبواب عدة، منها باب أبي العمائر وهو الآن لم يبق له أثر وكان موجودا في شمال غرب مستقبل حمرية (...).

(...) وباب أبي العمائر المذكور قد هدته الدولة العامية عند حلولها بالعاصمة المكناسية ولم تبق له عينا ولا أثرا والقصد من ذلك إزالة الحاجز بين العاصمة القديمة والمدينة الجديدة (...) ومن هذا الباب يخرج قاصد غابة الزيتون المعروفة بحمرية (...)". (1)

"(...) للمدينة ستة أبواب، باب البرادعيين، وباب المشاوريين(...)، وباب عيسي، وباب القلعة، وكان يسمى بهذا الإسم قبل ان تبنى هنالك القصبة والله اعلم، وباب أقورج، وباب درجورة وربما قيل له باب الصفا(...).

(...) أما باب البرادعيين فقد أدركناه على خمسة أقواس تحيط به أبراج فهدم في سنة سبع وتسعين أو ثمانية وزحلق لناحية الجوف وبني على ثمانية عشر قوسا محدقة بصحن فسيح ويدخله مسجد للخطبة (...) اما باب المشاوريين فقد هدم أيضا لقريب من هذا العهد، وبنى وراءه غربا باب يسمى باب بريمة (...) أما باب عيسي فقد هدم قبل هذا التاريخ، وزيد في القصبة وموضعه الآن بين باب اسعيد وضريح سيدي عبد الرحمن المجذوب (...) اما باب القلعة فقد هدم، وزيد في القصبة وموضعه الآن قريب من باب العلوج(...)". (2)

(1) ص50، (2) ص224، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وأما باب فورجة فقد هدم وزيد في القصبة وبني جوفا منه باب يسمى باب عبد الرزاق، وأما باب دردورة فقد هدم ولم يبق وموضعه الآن بباب تزيمي وتزيمي إسم قبيلة اخرج اهلها من الصحراء من عمالة سجلماسة وغربوا وأسكنوا في هذا الموضع (...)". (1)

"(...) وأما باقي أبواب المدينة التي لم يقع لها تعرض ممن أسلفنا إليها سابقا فمنها باب السيبة وموقعه في الجانب الغربي الجنوبي خارج باب الجديد المعروف بهذا الإسم إلى الآن (...) وباب سيدي اسعيد، ويقال له باب الملاح وباب وجه عروس، وموقع هذا الباب في الربع الغربي الجنوبي وهو من تأسيس السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام وباب زين العابدين وموقعه في الجانب الغربي الجنوبي على يسار الخارج من باب المنصور العلج لبطحاء الهديم، بنى هذا الباب المولى زين العابدين ابن السلطان المولى إسماعيل (...) وباب ابن القاري وموقعه في الجانب الغربي الجنوبي وهو باب محكم البناء يعلوه برج هائل، يشتمل هذا الباب على بابين أحدهما يؤدي الى ناحية القصور الملوكية من جهة صهريج السواني، والآخر يؤدي لناحية الأوير الإسماعيلية ومساكن الجيش الملوكي (...) ومنها باب البطيوي، موقعه في الجانب الغربي، وهو باب مثقن البناء ومحكم التشييد يؤدي لناحية الأوير (...)". (2)

(1) ص226، (2) ص228 من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

"(...) وباب الكبيش بصيغة التصغير موقعه في الجانب الشرقي في ناحية الأروى (...) ومنها باب الناعورة وموقعه في الجانب الشرقي الشمالي يعلوه برج عظيم هائل محكم البناء عجيب الإتقان (...) ومنها باب القزدير موقعه في الجانب الشرقي يخرج منه لناحية ضريح أبي زكريا الصبان المعروف بسيدي بوزكري، تنفتح دفتاه بين قوسين عليهما سقف ومن هذا الباب كان دخول جيوش فرنسا الإستعمارية لهذه الحاضرة الإسماعيلية (...) ومنها باب أبي العمائر السابق الذكر (...) وكان موقعه أمام باب المرس (...)". (1)

وفي السنين الأخيرة عرفت مكناس كغيرها من المدن العتيقة تدهورا ملحوظا، حيث تلاشت معالمها تلاشيا فاحشا، فأدبر الناس عن صيانتها وأقبلوا على مغادرتها، وسبب ذلك انحلال تركيبتها الإجتماعية الأصيلة، وتدني بنياتها التحتية إضافة إلى جاذبية المدينة الحديثة، فبلغ التضعضع بها أقصى درجة وصار ذلك السم يسري في جسمها شيئا فشيئا حتى صارت بعض معالمها ومنشآتها تتساقط وتندثر

(1) ص231، من كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

CAMERA
كاميرا

وعلى غرار المدن العتيقة المغربية الأخرى فقد عرفت مكناس في مطلع القرن العشرين إحداث مدينة جديدة بأرض غابة الزيتون المعروفة بحمرية.

فالمدينة الجديدة هي وليدة بداية القرن العشرين، أنشأها المعمر الفرنسي وفق السياسة المعمارية للمقيم العام المارشال اليوطي، والتي كانت تدّعي الحفاظ على التراث القومي والشخصية المغربية، إلا أنها كانت في الحقيقة تهدف إلى الفصل والتمييز بين الأوروبيين والمغاربة وتأمين ظروف سكن ملائمة، ونمط عيش كريم للمعمرين.

حيث أحدث بها ما تتوقف عليه ضروريات العمران من منشآت، فأصبحت تزدان بالشوارع العصرية والمتاجر المنسقة الكبيرة، والمصارف، والميادين الواسعة البديعة، والمنتزهات والحدائق الرائعة والعمارات ذات الطوابق العالية، والواجهات المزخرفة إلى غيرها من المشاهد والطيبات التي تروح عن النفس.

ومكناس الجديدة المعروفة الآن بحمرية كانت تعرف ببلاد حفص، قبل أن يتملكها السلطان المولى إسماعيل بالمعاوضة مع مالكها الأصلي محمد بن إدريس الحسني المنوني (نص المعاوضة مذكور بكتاب اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس).

وتم غرسها بحوالي 100 ألف شجرة زيتون حبس نصف مستفاداتها على الحرمين الشريفين والنصف المتبقى على المسجد الأعظم لمكناس ولطلبة القرآن الكريم بسجلماسة وقارئي الذكر بضريحي المولى إدريس الأصغر وسيدي بوزكري.

وقد جدد سيدي محمد بن عبد الله عملية التحبيس بعد أن اصلح ما حل بالمنطقة من خراب نتيجة الفتن التي سادت المدينة إثر وفاة المولى إسماعيل .

وبقيت وضعية حمرية على ما أمر به السلطان حبسا تصرف مداخيله حسب ما جاء ذكره أعلاه إلى حدود 1912، سنة مجيء المعمرين الفرنسيين لمكناس حيث تقرر بناء مدينة جديدة، لضروريات دفاعية وإدارية ونفعية، فوقع الإختيار على هضبة حمرية المحبسة لتحتضن هذه التوسعة.

وأسندت مهمة وضع تصميم المدينة الجديدة للمهندس الفرنسي هنري بروست الذي شرع في تسطير طرقها في شهر غشت سنة 1916، وأسندت مهمة الإنجاز الفعلي إلى بونيرو القائد العسكري العام لمكناس مما يؤكد الأهمية العسكرية للمدينة. وقد تهافتت الإدارة الفرنسية المدنية منها والعسكرية، وكذا الشركات والجمعيات والخواص، على إقتناء الأراضي مقابل تعويضات نقدية بسيطة مقارنة بالتعويضات التي همت الأراضي التي أقيمت عليها المدن الجديدة في المناطق الأخرى من البلاد.

وقد عمل المهندس هنري بروست على التفاعل بذكاء مع الجغرافية المجال حيث خصص المنحدر الفاصل بين المدينة القديمة والتوسعة الجديدة لإحتضان حدائق ومنتزهات، هي ما يعرف الآن بحدائق الحبول.

واتخذ من المنبسط المطل على المدينة القديمة مكانا لإنشاء العديد من المؤسسات العمومية، نذكر منها قصر البلدية ومكتب البريد، وقصر العدالة، وفضاء المعارض، وقد صممت هذه المؤسسات وفق نمط هندسي يجمع بين الطابعين المعماريين المغربي والأوروبي.

كما تجدر الإشارة هنا إلى التذكير بأن توسعات المدينة الجديدة عرفت إنشاء برامج سكنية مهمة، على شكل عمارات وفيلات ذات طابع معماري متميز، أضفى على المدينة رونقا وجمالا.

وقبالة حدائق الحبول السالفة الذكر، أحدثت وسط غابة زيتون تقع على الضفة اليمنى لوادي أبي العمائر مجموعة مسابح صممت وفق هندسة بديعة روعيت فيها كل المعايير التقنية المتعارف عليها. وأهم هذه المنشآت، المسبح البلدي، ذلك الفضاء الترفيهي والرياضي الذي سيظل راسخا في ذاكرة المكناسيين حيث ساهم في تسلية أجيال وتكوين سباحين أبطال من أبناء المدينة.

لقد شكلت هذه المرافق الاجتماعية متنفسا حقيقيا لشباب الحاضرة الاسماعيلية الذين كانوا يرتادونها لهيلة أيام صيفهم الحار.

ومكناس المتميزة بكتاتيبها القرآنية ومدارس تعليمها الأصيل احتضنت أيضا ولا تزال مؤسسات تعليمية عصرية حاول صيتها لما لعبته من أدوار جليلة في تهذيب وتكوين الناشئة حيث أنجبت المدينة أطرا كفأة متخصصة في شتى المجالات، اعتبرت روافد لتطعيم أسلاك الإدارة العمومية والقطاع الخاص بكفاءات ساهمت في التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد.

لائحة المصادر البيليوغرافية

كتاب إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس
لعبد الرحمان بن زيدان المكناسي

كتاب معجم البلدان للشيخ الإمام أبي عبد الله الياقوت بن
عبد الله الحموي الرومي

كتاب الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون للمؤرخ
العلامة أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن غازي
العثماني المكناسي

كتاب نشق الأزهار لشمس الدين الحنفي

كتاب الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى للشيخ أبو العباس
أحمد بن خالد الناصري

مذكرات من التراث المغربي من تنسيق العربي الصقلي

ص 47 : سقاية للاعودة

ص 49 : سقاية التوتة

ص 51 : قبة الخياطين

ص 53 : منظر داخلي لإسطبلات المولى إسماعيل

ص 55 : منظر عام على ضريح السواني

ص 57 : مأذنة المسجد الأعظم كما تظهر من سطح المدرسة الفيلالية

ص 59 : أسراك والأسوار الإسماعيلية

ص 61 : سقاية العطارين بالمدينة القديمة

ص 63 : مأذنة المسجد الأعظم

ص 65 : زنقة السكاكين جوار ساحة الهديم

ص 67 : منظر للمقبرة الحاذية لضريح الولي الهادي بنعيسي

ص 69 : باب منصور العلج

ص 71 : باب برد عيين

ص 73 : باب الخميس

ص 75 : منظر لإحدى قاعات السينما بالمدينة الجديدة

ص 77 : بناية إدارة البريد والتلغراف بالساحة الإدارية

ص 79 : منظر لحديقة الحبول

ص 81 : مبنى القصر البلدي

ص 83 : منظر عام على المسبح البلدي

ص 85 : جناح من ثانوية المولى إسماعيل

ص 87 : صورة جوية لجزء من المدينة الجديدة ألتقطت سنة 1964 من أرشيف الخزانة العامة بالرباط

ص 91 : طرز مكناسي، يعود الى نهاية القرن الثامن عشر، متحف الفنون بآنديانا بوليس، من كتاب الطرز المغربي لإزابيل دوناموز منشورات فلاماريون باريس 2003

صورة الغلاف : منديل من الطرز المكناسي الأصيل يعود الى بداية القرن العشرين من كتاب ألوان من المغرب، حولاكروا و فنون الزخرفة المغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات متحف الفنون ببوردو ومنشورات سوموكي للفن، بوردو، 2002.

دليل لمواقع الصور الفوتوغرافية

ص 07 : صورة جوية للمدينة العتيقة لمكناس أخذت في أبريل 1962 من أرشيف الوزارة المنتدبة المكلفة بالإسكان والتعمير

ص 09 : صورة للأستاذ محمد العيساوي المسطاصي أخذت في 23 دجنبر 2005 بعدسة سعيد ملين

ص 11 : صورة جوية للمدينة العتيقة لمكناس أخذت في أبريل 1962 من أرشيف الوزارة المنتدبة المكلفة بالإسكان والتعمير

ص 13 : منظر عام على المدينة العتيقة

ص 15 : قنطرة الفخارين

ص 17 : ضريح أحد الأولياء يقع بجانب المدرسة الفيلالية

ص 19 : صحن المدرسة الفيلالية

ص 21 : وسط ضريح سيدي عبد القادر العلمي

ص 23 : "عتبة مدخل إحدى القاعات بقصر الجامعي بمكناس، الذي تحول إلى متحف يجسد أناقة الفنون الأصيلة "، نشرت ب " المدن الملكية بالمغرب"، م.مطالسي، س.تريال و ج.م.روين، منشورات ب.تريال، باريس، 1999

ص 25 : باب الزاوية التيجانية

ص 27 : مدخل قصر المولى إسماعيل

ص 29 : زخارف جبص وفسيفساء ونقش على الخشب بإحدى البيوت التقليدية

ص 31 : منظر لأحد فناءات الضريح الإسماعيلي

ص 33 : المدخل الرئيسي للمسجد الكبير

ص 35 : جامع وزاوية سيدي اسعيد

ص 37 : مسجد باب برد عين

ص 39 : شارع وصومعة باب مرلم

ص 41 : منظر عام لساحة للاعودة

ص 43 : ضريح الولي الصالح الهادي بنعيسى المعروف بالشيخ الكامل

ص 45 : فناء المدرسة البوعنانية

من منشورات مديرية الهندسة المعمارية
الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة
بالإسكان والتعمير
الرباط - المغرب

إنجاز:
رضا كنون، محمد لميطة، سعيد ملين.
تنسيق إعداد الكتاب :
رضا كنون
تحت إشراف : سعيد ملين.

رقم الإيداع القانوني : 2005/0615
الرقم الدولي المعياري للكتب : 6-94-401-9954

تهيئ، ترتيب و تنظيم النصوص والصور
كرافيلي الرباط

الطبع :
منشورات عكاظ 2006
الرباط - المغرب.

كل إعادة لطبع هذا الكتاب بطريقة أو بأخرى حالية أو مستقبلية، معروفة أو مجهولة هي مقبولة ومحبذة شريطة أن تكون بدون فائدة مادية.

تشكرات

فاطمة أزناك، سعاد أومدين، أنيس و سهام بلافريج، الهاشمية بقلان لبنى بفطص،
حسن بنعزو، زينب بنعزو، صلاح الدين بوكرين، عبد اللطيف الخطابي،
عبد الله كرل رشيد كنون الهادي لسمر، حسن المنصوري، محمد المسطاسي،
الحاج محمد العيساوي المسطاسي، سعاد المسطاسي، نور الدين أحمد، ميشال الناشف،
محمد الصنهاجي، فوزي السلاوي، مريم الشرقاوي، صباح وهبي،

رقم الإيداع القانوني : 2005/0615
الرقم العولمي المعياري للكتب : 9954-401-94-6